يبلغ خمسة ملايين دولار وهي ثلاث جزائر مساحتها السطحية ٣١٠ كيلو مترات مربعة وسكانها ٣٢٧٨٦ . فاكتشفت في خلال هذه المدة حيالة نصبها احد اعضاء مجلس البلاد الدانيركية وتبين انهُ ارتشى لتحقيق رغبات الاميركان . فتأخر النظر في امر الجزائر الآن ريثما تجيء الفرصة المناسبة (والاميركان كالانكليز لا يضيعون الفرص ولا يخترعونها) ولئن لم تسقط هذه الاجاصة في ارض الاميركان فذلك لانها الآن آخذة بالنضج وما نضجها على الصابرين ببعيد

انحطاط المشرق بانحطاط الاخلاق

بسطنا الكلام في فصل سابق عن انحطاط المشرق وابنا ثمة ان سببهُ انحطاط الاخلاق وعراقة الشرقيين في الحضارة وبلوغهم منها غاية قضت بتمكن الضعف منهم منذ زمان مديد ووعدنا بالعود الى هذا البحث واتمام الكلام عليه ووفاء بالوعد نقول :

اشرنا في ذلك الفصل الى ان الاخلاق السافلة التي تفضي بانحطاط الأمم وضعفها كثيرة وان ما نراهُ منها مظنة انحطاط المشرق واهله لا ينحصر بالملاذ البدنية بل هو اعم من ذلك وان عامة الاخلاق الفاضلة في المشرق قد تطرق اليها الضعف فاضعف قوى الشرقيين وتفوسهم عن النهوض مع الناهضين والتسابق مع السابقين من أمم المغرب والخطر من هذا على المشرق عظيم يتهدد اهلهُ بناموس الانتخاب الطبيعي القاضي ببقاء الانسب . وحسبك دليلاً على ذلك هذا السكون المطلق الذي يخيم بسجبه المظلمة على آفاق المشرق بينما المغرب في حركة مستمرة يخترق صداها حجب الفضاء وتهتز لها جوانب الغبراء . فلو هبط الآن على الارض هابط من عالم النجوم لخيل لهُ ان المشرق واهلهُ عالم آخر لا اتصال لهُ بالمغرب لما بينهما من التباين الذي يكاد يكون مستحيلاً في نظر العقل في عصر وصلت فيه الكهربائية والبخار بين جوانب الارض واصبح فيه العلم مشاعاً بين الأمم لا يقصر عنهُ نظر المتطاول ولا يد المتناول . وما هذا التباين الاَّ اثر من آثار الاخلاق في رقيها وتدليها والانسان انما دعي انساناً مميزاً بنفسهِ لا بجثمانه فالتفوق في التي تعلو بهذا الانسان الضعيف حتى تبلغ به عنان السماء وتهبط به الى الحضيض حتى يلتصق خدهُ باديم الارض

فكل ما سيء في المشرق من وهن في العزائم . وفتور في الهمم . واخلاد الى السكون . وعجز عن النهوض . وتخاذل يفرق المجتمعات . ويأكل القوميات . ونفور من العمل . واسترسال في الجهل والخمول . ورضا بالضيم واستسلام للفاتحين والمستعبدين من الغربيين

انما هو نتيجة ضعف في النفوس تأصل فيها بضعف الاخلاق ويوشك ان يرجع بهذه النفوس البشرية الى الجبلة البهيمية لو لم يقابلهُ حكم هو اقرب لسنن الوجود واشد انحاء على الشرقيين الاَّ وهو : فناء الضعيف في وجود القوي · سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

اذن فداء المشرق كما تبين لك عضال ومرضهُ خطر قتال · ودو فساد الاخلاق وضعف ملكات العلم بلوزام الحياة · ولا بد لتقويم الاخلاق من حسن المعالجة بزاولة التربية الصحيحة واحياء موات النفوس بالفضائل التي يرشد اليها العلم · والوصول الى ذلك انما يكون باحد امرين : اما بالشعوب او بالحكومات : وفي كلا الحالين فان نهوض المشرق وقصد اهله هذا القصد يتوقف على وجود قادة في أُممهِ وشعوبهِ يحسنون بهم السير ويأخذون بهم الى سبيل الرشاد · على انا نرى ان وجود القادة من زعماء الاصلاح الاجتماعي في المشرق لا يوصل الى منتهى الغرض الاَّ اذا وجد اولئك القادة عضداً من الحكومات وناصراً من زعماء الرياسة والسياسة الذين اصبح في ايديهم قياد الامم الشرقية · ذلك لما ثبت لنا من تناهي ضعف النفوس في المشرق وفقدها الشعور بالحاجة الى الاصلاح النفسي والتربية العقلية

ولنضرب لك مثلاً على ذلك بمن قاموا من قادة الافكار في المشرق في عصر واحد وهو عصرنا هذا فقد سعى المركيز ايتو الياباني لانهاض قومهِ في اقصى الشرق فانجح سعيهُ ونهض باليابانيين الى أُفق السعادة لما اخذ بيدهِ امبراطور اليابان كما هو معروف · وسعى غيرهُ كثيرون في ادنى الشرق فاخفق سعيهم لما لم يجدوا من زعماء الرياسة على الشعوب من يأخذ بايديهم و يعضد سعيهم · ذلك لان شعوب المشرق كما قدمنا قد مرنوا على الخمول لما تأصل فيهم من مرض الضعف وفساد الاخلاق الفاضلة التي تنهض بالنفوس الى ذرى الاستقلال الذاتي فاصبحوا اتكاليين لا يسعون الى عمل نافع الاَّ اذا سيقوا اليهِ سوقا · واقتدوا برؤسائهم اذا كانوا لهم عونا يضاف الى هذا غرور الشرقيين ببقايا مدنيتهم الدارسة غروراً يقعد بالهمم عن تطلب غايات الكمال على ان اخفاق المخفقين انما كان في الحصول على الثمرة العاجلة التي جناها ايتو اليابان واما الآجلة فلم يكونوا يائسين من نيلها اذا ثابر الخلف من محبي خير الشعوب ومصلحي النفوس والمخلصين في النية والعمل لاقوامهم على ارشاد أُمم الشرق الى سبيل النجاة واستنهاض هم ذوي المروآت من زعماء الحكومات الشرقية الى بسط جناح الرحمة على الرعية ومعونتها في القيام على اصول العلم النافع وتلمس وجوه الخلاص من براثن الفناء الذي يتهدد أُمم المشرق في كل آن ولا يعدم المشرق افذاذاً من المصلحين في كل عصر توافق دعوتهم

من بعض الزعماء آذانا واعية وقلوبا رقيقة ونفوسا سمية نقية من شوائب الفساد تنطبع عليها صورة الخير وتنزع الى النهوض بالشعوب الشرقية من وهدة الذل والخمول

ورب معترض يقول ان نهوض زعماء الحكومات بالأمم امر غير متوقع الحصول لا سيما في الشرق وما دام الشرقيون قد بلغوا من الضعف ذلك المبلغ فاحر بزعمائهم ان يكونوا كذلك فالاولى ان تحث الأمم على النهوض بنفسها وترك الاعتماد على حكوماتها فالجواب عن هذا ان ذلك الاعتراض وجيه لا يقبل النقض بل هو القاعدة الاساسية في حياة الأمم لكن ذلك يجوز على اهل المغرب واما اهل المشرق فقد اقعدهم عن العمل بهذه القاعدة طول عهدهم بالجمود والخمول الناشئين عن الاغراق في الحضارة كما قدمنا وتماديهم اجيالاً كثيرة في الاعتقاد بالوهية زعمائهم وما يتبعها من تسليم النفوس اليهم والتعويل في كل الشؤون عليهم وهي عقيدة وان محتها الشرائع الالهية من اكثر ارجاء المشرق الا ان ادمان الأمم عليها غادر في نفوس الشرقيين من آثارها القبيحة اعتماد الشرقيين على حكوماتهم في كل شأن من شؤونهم العامة

وهل تظن ايها القارئ ان الأمة اليابانية كانت تتحول عن مثل هذا الاعتقاد بيكادها (امبراطورها) لو لم يتنازل هو نفسه عن الوهيته بمحض ارادته وحب الخير لامته ويفهم شعبه انه بشر مثلهم لا قوة له ولا حول الا بهم ولا حظ لهم من سعادة الحياة ومسابقة الأمم الا بجدهم وهل تظن الصينيين يبلغون من الرقي مبلغ اليابانيين اذا لم يفهمهم امبراطورهم ابن السماء انه ابن الارض ويهدم تختاراً ذلك السور الهائل القائم بينه وبين أمته فيقودهم الى الطريقة التي سلكها ميكادو اليابان بقومه ورفع لهم فيها بنيان الفضيلة والعلم باخلاصه وعلو نفسه. وبالاجمال فالشرق يحتاج في نهوضه الى حكوماته اذا أريد التعجيل في الحصول على الثمرة المبتغاة من دعوة المصلحين في كل قبيل منه وعند تعذر الحصول على هذه الثمرة يعدل فيه الى الرأي الآخر ولا بد في هذه الحال من قيام طائفة من كل قوم على تربية النفوس وبيان الفضائل التي تسمو بها النفس الى أفقها الأعلى حق البيان والله بحسن العاقبة كفيل

حلوان رفيق العظم